

اسم المادة : تاريخ المغرب الوسيط .

اسم المحاضرة: تحرير بلاد المغرب (الدوافع والأهداف)

كان الفتح العربي الإسلامي لبلاد المغرب شاقاً وطويلاً فقد استغرق مدة قد تصل الى سبعين سنة او اكثر وهي مدة طويلة نسبياً اذا ما قيست بالفتوحات الإسلامية الأخرى في الأراضي الفارسية او البيزنطية فقد امتد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب من عام ٢٢هـ الى عام ٩٠هـ والسبب في طول مدة الفتح كبير واتساع وامتداد بلاد المغرب التي كانت خاضعة الى سلطة الروم البيزنطيين إضافة الى جغرافية بلاد المغرب التي تتسم بسلسلة من الجبال الوعرة وهي سلسلة جبال اطلس التي شكلت سداً منيعاً يحول دون التوغل جنوباً وتتخذها قبائل البربر حصوناً طبيعية يتمتعون بالقوة والشجاعة و الروح الحربية المتأصلة في شخصية قبائل البربر .

١- دافع الجهاد: / مضايقة الروم للعرب / رغبة العرب المسلمين في تطويق القسطنطينية والاهتمام ببناء الاسطول العربي.

مراحل تحرير بلاد المغرب

المرحلة الاولى: الاستطلاع والاستكشافات ( ٢٢ - ٤٩هـ/٦٤٣ - ٦٦٩ م )

اولاً: - عمر بن العاص ( ت ٤٣هـ/٦٦٤ م )

بعد ان اتم عمرو بن العاص فتح مصر وثبت اقدام المسلمين بها اتجه ببصره نحو حدودها الغربية حيث مدينة برقة ومدينة طرابلس لان برقة تعد امتداداً طبيعياً لمصر اما طرابلس فكانت مع برقة تابعتين رسمياً لمصر بعد انفصالهما عن ولاية افريقية زمن الامبراطور البيزنطي موريس بالتالي لم تكن حدود مصر الغربية امنة ولا بد من القضاء عليهما فقد تلقت الحاميات البيزنطية بمصر مدداً وعونا من شمال افريقية مكثها من مقاومة الفاتحين المسلمين وجعلت من عمرو بن العاص يدرك ان برقة وما ورائها من بلاد تابعة للبيزنطيين ، وان لهم فيها منعة وعزة وفضلاً عن ذلك كان أهل برقة وطرابلس على علاقات قوية مع مصر وسبل الاتصال تتم بينهم في سهولة ويسر ، ولم يبادر عمرو بن العاص بالهجوم على برقة دون ان يتيسر له معرفة امورها واحوالها ، فارسل عقبة بن نافع على رأس حملة استطلاعية الى برقة وقد وصلت اخبار مشجعة لعمرو بن العاص عن حالة برقة تحرك على رأس جيش في أواخر عام ٢٢ هـ الى برقة التي كانت يسكنها بطون قبائل قبيلة لواتة وهي من اكبر قبائل البربر البتر شائناً واشدها باساً وحاصر المدينة التي استسلمت دون قتال وسارع البربر في الدخول في طاعة المسلمين وصالحوهم على دفع الجزية مقدارها ثلاثة عشر الف دينار كما رواها لنا البلاذري ( ت ٢٧٩ هـ ) بكتابة فتوح البلدان فقد كان اهل برقة يبعثون خراجهم الى والي مصر دون ان يأتي لهم جابي الخراج ، وبعد ان انتهى عمرو بن العاص من فتح برقة وضع خطة عسكرية لفتح طرابلس تمثلت هذه الخطة في ان تتحرك قواته باتجاهين الجزء الأكبر من جنده يتحرك تحت قيادتهم نحو الطريق الساحلي مستهدفاً مدينة طرابلس وما يليها من المدن الساحلية فقد بدأ فتح مدينة اجدابية والاستيلاء على مدينة سرت ثم مدينة لبداء وأشرف على مدينة طرابلس وكانت مدينة محصنة وذات اسوار منيعة فضرب الحصار عليها لمدة شهر حتى اكتشف قوة من جنده فتحة في سور المدينة تسمح لهم بالدخول فدخلها في أواخر عام ٢٢ هـ ودخلت قوات المسلمين المدينة وهم يكبرون مما أدى الى اضطراب البيزنطيين وفزعهم وتمكن المسلمون من هزيمتهم ، اما نصيب الجزء الاخر من جنده الذي كان بقيادة عقبة بن نافع لتأمين المناطق الداخلية حتى مدينة زويلة وسارت الاحداث الى ان فتح عقبة بن نافع مناطق فزان وزويلة في الجنوب ، وبافتتاح فزان وزويلة وودان وطرابلس وسبرت لم يعد في تلك البقاع الساحلية نقطة حربية تدافعها او مكانا حصينا يمانعهم وهذا يكون قد نجح في تأمين الحدود الغربية لمصر ، وما ان انتهى عمرو بن العاص من الاستيلاء على طرابلس حتى توقف عن الزحف وارسل الى الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب يبشره بما أفاء الله على المسلمين من فتوح ويستأذن بالتقدم نحو افريقية وكان جواب الخليفة بالرفض بسبب حرصه على جند المسلمين وعدم الزج بهم في ميادين بعيدة نسبياً عن دار الخلافة ومن ناحية أخرى ان باقي بلاد المغرب بها من الفتن والقلاقل والثورات قبل قدوم المسلمين فخشي عليهم من هذه الاضطرابات .

ثانياً :- عبد الله بن سعد بن ابي سرح ( ت ٣٧ هـ / ٦٥٧ م )

بعد ان استقر المقام لعبد الله بن سعد بن ابي سرح في مصر حتى سار على درب عمرو بن العاص في تكملة تحرير بلاد المغرب وكانت سياسته تقوم في الأساس على ارسال السرايا المتعددة في اتجاهات مختلفة ، وكانت تلك السرايا تجوب اطراف افريقية وتعود من نقطة انطلاقها في مدينة برقة التي بقى بها عقبة بن نافع بعد عودة عمرو بن العاص الى مصر ، ولم تكن هدف السرايا التي تجوب بلاد المغرب حسب توجه عبد الله بن سعد بن ابي سرح الغنائم والسيبي وانما هدفها الحقيقي هو الاستكشاف والاستطلاع ومعرفة اخبار العدو وقدرته من العدد والعتاد وبعد ان وصلت المعلومات الكافية لديه ارسل يطلب الاذن من الخليفة الراشدي عثمان بن عفان ببداية غزو افريقية لما احس بخطر البيزنطيين عقب هذه الحملات الاستطلاعية وبعد ان استشارة الخليفة عثمان بن عفان اهل الرأي رأى ان رأي الأغلبية يؤيد القيام بهذه العمليات العسكرية وبدورهم ارسل جماعة من الصحابة والتابعين لخوض هذه المعركة وقد سميت ( حملة العبادلة ) بسبب كثرة من خرج فيها من كان اسمهم ( عبد الله وعبد

الرحمن ) وقد اتجه الجيش الى مصر وحرص الخليفة على ان يكون في وداعهم بنفسه ، وتوجه الجيش بعد وصوله الى مصر الى برقة عام ٢٧ هـ حيث انضم اليهم عقبة بن نافع الفهري الذي كان اكثر خبرة بأحوال الروم وقواعدهم في افريقية ، وسارة هذا الجيش وفق خطة حربية تكفل لأفراده الامن والسلامة وتحقيق الهدف المنشود فكان يسير ليلا ليتجنب حرار الصحراء اللافحة وليخفي تحركاته عن جواسيس الروم ويستريح نهارا حتى وصل الى طرابلس وما جاورها من قلاع ساحلية واتجهوا نحو سببيلة وهو مقر القائد البيزنطي جرجير ، عسكر المسلمون في بلدة قومنية وهي قريبة من سببيلة وقبل ان تبدأ المعركة بدأت مرحلة المفاوضات بين الطرفين وعرض المسلمون شروطهم ( الإسلام ، الجزية ، القتال ) فرفض الطرف الثاني الدخول في الإسلام و الجزية واتجه نحو القتال وكان هذا هو خيار المسلمين في خوض المعركة فقد قسم عبد الله بن سعد بن ابي سرح الجيش الى قسمين الأول يخوض المعركة المكشوفة مع الروم والثاني لا يبرز للقتال الا في حالة تعب جند العرب والروم ونجحت الخطة وانتصر العرب المسلمين في هذه المعركة وقتل جرجير قائد البيزنطيين ، ومن بقى من الأعداء طلب الصلح وكان شرط المسلمين دفع مبلغ كبير من المال مقابل الصلح فوافق الطرف الثاني على ذلك ، عاد بعد ذلك عبد الله بن سعد بن ابي سرح بعد ذلك الى مصر عام ٢٩ هـ بعد مدة حكم في هذه البلاد (١٣) عاما وقد توقفت فيما بعد المجهودات الحربية للقضاء على البيزنطيين في تلك البلاد نتيجة الى الاحداث المتلاحقة في الشرق ولم يترك قاعدة او حامية عسكرية من بعده في المناطق المحررة في بلاد المغرب وكانت الجزية تأتي اليهم من البربر المسلمين يديرونها بأنفسهم ويرسلون اليهم الجزية عن طيب خاطر الى مصر .

ثالثاً : - معاوية بن حديج السكوني ( ت ٥٢ هـ / ٦٢٧ م )

بعد ان انتقلت الخلافة الى الدولة الاموية عاد عمرو بن العاص الى ولاية مصر واستمر من عام ٣٧ هـ الى ان وافته المنية عام ٤٣ هـ ولم يكن له نشاط مميز في مدة ولايته الثانية سوى ارسال لبعض سرايا الفرسان التي كانت تتوغل فيما وراء مدينة برقة و المناطق الصحراوية ثم تعود سريعا الى قاعدة انطلاقها / عينت الخلافة الاموية بعد وفاة عمر بن العاص معاوية بن حديج السكوني لقيادة الجيوش العربية الإسلامية في افريقية وخصوصا ان افريقية كانت تمر بمرحلة من الفوضى والاضراب السياسي من قبل سيطرة بقايا الروم البيزنطيين على بعض مدنها ، تحرك معاوية بن حديج السكوني نحو افريقية بنفس الطريق الذي سلكه من قبلة عمرو بن العاص و عبد الله بن سعد بن ابي سرح وكان الروم البيزنطيين قد علموا بتحرك جيش عربي مسلم تجاههم فاعدوا بالمقابل جيشاً كبيراً وحدثت المعركة وأوقع العرب المسلمون هزيمة بالروم وتمكن المسلمون من اجلاء الروم من مدينة سوسة و التقدم نحو قلعة جولاء والتي كانت من اهم حصون خط الدفاع لدى البيزنطيين وتوسع عمليات التحرير لشمول مدينة بنزرت وفتح جزير جربة وهي من اكبر قواعد الروم البحرية آنذاك وجهز معاوية بن حديج السكوني حملة الى صقلية فتمكنت من تحقيق أهدافها وعادت محملة بالكثير من الغنائم والكنوز ، عاد معاوية بن حديج السكوني الى مصر عام ٤٧ هـ بعد ان اتم مرحلة مهمة من مراحل الفتح الإسلامي وهو استكشاف والاستطلاع طبيعة القواعد البحرية الرومانية وشل فاعليتها متمما بذلك سياسة المسلمين اللذين قبله في هدم قواعد الروم الداخلية وباتت ولاية افريقية صفحة معروفة تماما للمسلمين والطرق اليها واضحة المعالم والدروب

المصدر: محاضرات في تاريخ المغرب والاندلس ، د. رضا هادي عباس واخرون ، بغداد ، ٢٠١٢ .